جهود الملك المظفر تقي الدين في دولة صلاح الدين الأيوبي

(٥٧٠هـ/١١٧٤م-٥٨٧هـ/١١٩١)

د.علي نجم عيس(*)

لقد انصبت اكثر البحوث التاريخية العربية والإسلامية إلى التعمق في دراسة شخصية صلاح الدين الأيوبي، بينما أهملت هذه الدراسات الكثير من الشخصيات والقيادات العسكرية التي كانت ترافق صلاح الدين وتتقدم صفوف الجيوش ضد الغزو الإفرنجي، لقد آمنت تلك القيادات إيمانا عميقا بالمبادئ والأسس والأهداف التي كانت تحفزها لمواصلة الجهاد وتحرير المدن المحتلة من قبل الإفرنج والتي أسسوا فيها كيانات سياسية مستقلة أمثال الرها وطرابلس وبيت المقدس وحاولوا التوسع في أماكن أخرى مستهدفين كيان الأمة العربية الإسلامية السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي.

وكان من بين هؤلاء القادة الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ابن أخي السلطان (صلاح الدين الأيوبي) ولد سنة

(*) قسم التاريخ _ كلية الآداب.

(٥٣٤هـ/ ١١٣٩م)[١]، فهو من أسرة عرفت بجهادها الطويل ضد الإفرنج ودوي اسمها في الآفاق مارست فنون الحرب والجهاد وقدمت تضحيات جسيمة، فقد استشهد شاهنشاه والد تقي الدين في دمشق سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) أثناء تعرض المدينة للغزو الإفرنجي[٢]، وكذلك استشهد ولده (احمد) في معركة الرملة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) المعركة التي وقعت ضد الإفرنج أيضا، حتى انه كان يقول لولده أثناء المعركة (يا ولدي جاءت نوبتك فأين سطوتك)[٣] وكان له ولدا آخرا وقع أسيرا بيد الإفرنج[٤].

لقد عرف تقي الدين قائداً، في ميادين القتال شجاعاً، شديد البأس وركناً عظيماً من أركان البيت الأيوبي قال عنه ابن خلكان (كان شجاعا، مقداماً متصورا في الحروب مؤيداً، في الوقائع ومواقفه مشهودة مع الإفرنج)[٥]، ووصفه ابن

(١) ينظر ترجمته في أبي شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية، دار الكتب العلمية بيروت ٤، ٢٠٠٢/ ١٧٠، ابن خلكان،شمس الدين احمد، وفيات الأعيان والأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ٣/ ٤٥٦، ابن واصل الحموي: مفرج الكروب في أخبار بني أيضا، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ط، القاهرة ٢، ١٩٥٧/ ٣٧٧-٣٧٨ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء مكتبة الصفا، ٢٠٠٣، ١١/ ١٨٦.

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/: المختصر في أخبار البشر، دار الفكر والبحار ١٩٥٦، ٢٠/٣٠-٢١.

(٣) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، البرق الشامي مخطوط برقم ٤٨٤ المكتبة المركزية جامعة الموصل ٣/ ورقة ٨٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/ ٤٥٦.

واصل الحموي بقوله بأنه (كان ملكا شجاعا جوادا شديد البأس عظيم الهمة)[٦] وقال عنه المستشرق جب بأنه (اشد أعضاء الأسرة الأيوبية ولعا بالحرب)[٧]، كما انه كان من أهم الشخصيات الأيوبية واحد أعمدة جيش صلاح الدين[٨].

وكان لتقي الدين منزلة كبيرة عند صلاح الدين حتى انه جعله الشخص الثالث في دولته يتضح ذلك من خلال وصيته حينما انتابه مرض شديد، وقد ورد فيها ما يلي: (ان أدركني المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد خلفت أبا بكر وعمر... ويعني بأبي بكر الملك العادل أخاه وبعمر تقي الدين)[٩]، وكان جيش صلاح الدين يضم عشرة من كبار القادة العظام، إذ أعده العماد الكاتب في مقدمة هؤلاء القادة[١٠]، تلك المكانة التي حظي فيها جعلته ملازما لقائده صلاح الدين حتى ان ابن واصل الحموي أشار إلى ذلك بقوله بأن صلاح الدين كان (يحب الملك المظفر تقي الدين اكثر من محبته لسائر أهله لما كان خصه.... من الشجاعة

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٣٧٦.

(٧) السير، هاملتون جب: صلاح الدين الإفرنج (دراسات في التاريخ الإسلامي) حررها يوسف ايبش (بيروت ١٩٧٣)، ص ١٢٨.

(٨) الجومرد: د. جزيل عبدالجبار: الأثير الأمة ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر: مجلة التربية والعلم العدد ٨/ ١٩٨٩.

(٩) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
المختصر في أخبار البشر: دار الفكر ودار البحار ١٩٥٦/ ٣/ ٢٠.

(١٠) الأصفهاني: البرق الشامي، ٣/ ٨٩.

والنجابة والإقدام العظيم الذي لم يكن لأحد مثله من بني أيوب)[١١] وفي موضع آخر قال عنهما (وكان من اعز الناس على السلطان وأعظمهم)[١٢]، وكان صلاح الدين يدرك الجهود التي كان يبذلها تقي الدين في تثبيت أركان دولته في مصر والشام والجزيرة، وقد وردت أول إشارة عنه أثناء محاولة نور الدين زنكي الهادفة إلى تفويض سلطة صلاح الدين عن مصر وهذا ما حدى بصلاح الدين ان يستشار كبار رجال دولته عن الإجراءات التي يمكن اتخاذها في حالة تقدم نور الدين باتجاه مصر، فكان تقي الدين يرى ان من الواجب قتاله وتفويت الفرصة عليه إذا ما وصلت جيوشه إلى مصر وقد أكد ذلك بقوله (إذا جاء قاتلناه وصديناه عن البلاد)[١٣] وهذا الرأي الذي أشار إليه تقي الدين كان موضع تحفظ من قبل أيوب والد صلاح الدين[١٤]، كما ساهم تقي الدين بشكل فعال في المعارك التي خاضتها جيوش صلاح الدين، وتأتي في مقدمة هذه المعارك معركة قرون حماة سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) وهي المعركة التي حدثت بين جيش صلاح الدين وجيوش حلب وسنجار والموصل، وكان الانتصار في هذه المعركة يعني بداية تثبيت دولة صلاح الدين وتوسعها، وكانت كفة الموازنة تميل لصالح الجيوش الثلاثة الواردة

(١١) ابن واصل: مفرج الكروب ٢/ ٢٣٨.

(١٢) البنداري: قوام الدين، الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)
سنا البرق الشامي دار الكاتب الجديد بيروت (٩٧، ٨٦-٦٩).

(١٣) أبو شامة: الروضتين، ٢/ ٢٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢٦٨، ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٢٢/١.

(١٤) أبو شامة: الروضتين، ٢/ ٢٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢ / ٢٥١.

الذكر، وعد العماد الكاتب وصول تقي الدين وبعض القادة الآخرين من مصر إلى ساحة المعركة في ارض حماة تغير في مجرى الأحداث والتي آلت نتائج المعركة لصالح جيش صلاح الدين، وهزيمة الجيوش المتحالفة[١٥].

كما شارك تقي الدين في توسيع دولة صلاح الدين لتشمل مدن الجزيرة حتى ان بعض ملوك وأمراء الجزيرة أغاضبهم توسع هذه الدولة، لان في ذلك تهديد لكياناتهم السياسية المستقلة لذلك حاولوا عقد الاتفاقيات لمحاربة صلاح الدين للحد من نفوذه كما فعل أمراء الموصل وماردين واخلاط، أدركي توجهوا لمحاربة صلاح الدين لكن الأخير كان قد جهز قوة عسكرية بقيادة تقي الدين بعد وصول أنباء تحركاتهم، مما جعلهم يتفرقوا حال سماعهم نبأ تقدم تقي الدين لمحاربتهم[١٦].

ورغم ذلك تجلت موهبة تقي الدين العسكرية في حربه ضد الملك السلجوقي قلج ارسلان حاكم بلاد الروم في معركة حصن رعبان سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) إذ حاول هذا الملك التجاوز على المدن الواقعة ضمن دولة صلاح الدين فجهز صلاح الدين حملة عسكرية بقيادة تقي الدين بلغ عدد أفرادها ألف مقاتل مقابل عشرين ألفا من الروم وقيل ثلاثين ألف مقاتل، وكان من نتائج تلك المعركة سحق قوات قلج ارسلان رغم كثرة أعدادها، حتى ان أنباء النصر هذه قد دوت في بلاد المسلمين

---

(١٥) البنداري: سنا ابرق، ص ٨٦.

(١٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦١)، ٩/ ١٥٩.

الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت خ ٩ / ١٥٩.

وكتب عنها أيضا المؤرخون المعاصرون لتلك المرحلة وذكر هذه المعركة العماد الكاتب بقوله (كسر تقي الدين بأذن الله ثلاثين ألفا..... بألف)[١٧] مثل ابن الأثير الذي قال عنها (فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين ألف فارس فأرسل إليهم صلاح الدين تقي الدين في ألف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم)[١٨].

ولم تقتصر مساهمات تقي الدين في بناء دولة صلاح الدين ومحاربة أعدائه من ملوك المدن وحكامها وأمرائها المجاورة فحسب، بل ساهم بشكل فعال في قتال الصليبي في بلاد الشام ومصر والجزيرة، إذ كان صلاح الدين بأشد الحاجة إلى قيادات تتمتع بإمكانيات عسكرية كفوءة أمثال تقي الدين بعدما كانت تعاني الأمة العربية والإسلامية من سبات عميق، إذ أصبحت بلاد الشام والجزيرة وأجزاء من مصر ميداناً لقراع سيوف الإفرنج. وعم الاستهتار بالقيم الإسلامية[١٩] فكان تقي الدين يمتلك معرفة عميقة بأصول الحرب ومبادئها وسوقها وتعبئتها ساهم بشكل فعال في دحر هذه الجيوش الغازية فكان له حضور فعال في المعارك التي خاضها لذلك أفردت له المصادر التاريخية فقرات مطولة مشيرة إلى أهمية الدور الذي لعبه في المعارك التي خاضها وتكبيد الإفرنج خسائر كثيرة، فقد اشترك سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م في دحر الغزو الإفرنجي على مدينة دمياط المصرية حتى ان

(١٧) البنداري: سنا البرق ٣٣٢.

(١٨) المصدر نفسه: ١١/ ٥٨٤، خليل عماد الدين: عماد الدين زنكي، (موصل ١٩٨٥).

(١٩) خليل، عماد الدين: عماد الدين زنكي، ط الزهراء موصل، ١٩٨٥، ص ١٥.

العماد الكاتب أكد وصول تقي الدين إلى دمياط ومقاتلة الإفرنج قبل وصول صلاح الدين إلى اليها[٢٠].

وجاءت مساهمته الثانية في معركة الرملة أظهر فيها تفوقه العسكري بشكل واضح لما بذله من جهود كبيرة أبلى خلالها بلاء حسنا، حتى ان موقفه البطولي هذا نال إعجاب العماد الكاتب وهو يخوض المعركة ضد الإفرنج بقوله (فوقف الملك المظفر تقي الدين وتلقاهم بصدره وسبك الرجال بنيران سيفه.... وجرفهم بسيله)[٢١]، ونال موقفه هذا أيضا إعجاب المؤرخ ابن واصل الحموي الذي قال عنه (وأبلى تقي الدين في ذلك اليوم بلاء حسنا وثبت وقاتل)[٢٢] وكانت خسائر الإفرنج في هذه المعركة أضعاف خسائر المسلمين[٢٣].

وكان لتقي الدين دور متميز في معركة حطين سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) إذ شارك في تحرير المدن العربية من قبضة الإفرنج وفي مقدمة هذه المدن الكرك

---

(٢٠) البنداري: سنا البرق، ص ٤٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٣٠، ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ١٨٢-٣٧٨.

(٢٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٦٢، انظر محاولات الصليبيين: احتلال حماة ابن القلاسي: أبو يعلي حمزة (ت٥٥٥/ ١١٦٠م)
ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨ ص٩٩ ابن أعمدة: الكامل ٨/ ٤٣٢، ٤٤٤، ١٢ /١٩٥، سبط ابن الجوزي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد الدكى ٨/ ٤٣٢ ابن واصل مفرج الكروب ٣/ ١٤١-١٤٢، ٤/ ٣٠٣.

(٢٣) أبو شامة: الروضتين، ١/ ٢٧٣، الإفرنج: محمد بن تقي الدين (٦١٧/ ١٢٢٠م) تبيان الحقائق وسر الخلائق تحقيق حسن حبشي القاهرة ١٩٦٨، ١٥٧-٥٢٤.

وعكا وطبرية ومجدل والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة ويافا، وقد أشار ابن الأثير إلى دور تقي الدين هذا في تلك المعارك وجعله في مقدمة جيوش صلاح الدين[٢٤]، وتميز موقفه أيضا من خلال مشاركاته الأخرى التي كان من خلالها يفرض الحصار على المدن المحتلة من قبل الإفرنج قبل وصول جيش صلاح الدين كما فعل في الحصار الذي فرضه على مدينة تبنين، وجاءت مساهمته الأخرى في تحرير مدن صيدا وجبيل وبيروت وعسقلان والتي تكللت في نهاية المطاف في تحرير البيت المقدس وكان يوم تحرير القدس عظيما في حياة المسلمين إذ عمد تقي الدين إلى تنظيف القدس من الأوساخ والروائح الكريهة واحضر أحمالا من ماء الورد وتولى بيده كنس ساحاتها وغسل جدرانها وفرق مالا كثيرا على الفقراء تيمنا في هذه المناسبة العظيمة[٢٥]، ونظم قصيدة وصف فيها مشاعر الحب والولاء التي كانت تعتريه وهو يشاهد الدور القيادي الذي لعبه صلاح الدين في معركة حطين وقد جاء في قصيدته[٢٦]:

أصلاح دين الله أمرك طاعة فمر الزمان بما تشاء فيفعلا

فكأنما الدنيا ببهجة حسنها تملا على إذا رأيتك مقبلا

وتأتي مساهمات تقي الدين الأخرى في التصدي للحملة الصليبية الثالثة سنة

(٢٤) الكامل، ١٢/ ١٧٨.

(٢٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ٥/٢، ٢ـ ٢٣٨.

(٢٦) البنداري: المصدر والصفحة نفسها، سنا البرق ٣٣٢.

(٥٨٥هـ/ ١١٨٠م) إذ اشترك في هذه الحملة معظم ملوك أوربا من بينهم فيليب أغسطس ملك فرنسا ورتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا حتى ان رهبانهم وقادة جيوشهم لبسوا السواد حزنا على ما اعتراهم من تدمير على يد المسلمين كما حاولوا إثارة مشاعر النصارى في البلدان من خلال الصور التي لفقوا فيها صورة السيد المسيح وجعلوا فيها صورة رجل عربي يقوم بضربه وهذا ما يتنافى مع مبادئ الدين المسيحي، وكانوا قد اتخذوا من مدينة عكا مكانا لتحشداتهم ووصلت إليهم الإمدادات من جميع أنحاء العالم الغربي، لذلك وصف ابن الأثير أعدادهم الهائلة مشبها إياهم (بالجراد المنتشر يدبون على وجه الأرض قد ملاها طولا وعرضا)[٢٧]، وقد تميز دور تقي الدين في هذه المعركة من خلال قيادته ميمنة الجيوش إذ عرض لنا ابن الأثير جانبا من مواقفه البطولية في هذه المعركة بقوله (حمل عليهم تقي الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فازاحهم عن مواقعهم يركب بعضهم بعضا)[٢٨] وقد تكبدوا خلالها خسائر بلغت سبعة آلاف مقاتل[٢٩] وقيل عشرة آلاف مقاتل[٣٠] مقابل مائة وخمسين مقاتلا من المسلمين[٣١].

---

(٢٧) ابن أعمدة: ٩/ ١ ٢٠-١٢/ ٣٥.

(٢٨) ابن شداد: أبو الحسن بهاء الدين الاسدي (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).
سيرة صلاح الدين أو السيرة اليوسفية تحقيق جمال الدين الشيال ط١، (القاهرة، ١٩٦٢)، ١١٢- ١١٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ٢/ ٢٠٥ ـ ١٣٨.

(٢٩) الكامل: ١٢/ ٣٩.

(٣٠) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ١١٢-١١٣.

(٣١) ابن شداد: السيرة ١١٢-١١٣، ابن الأثير: الكامل ١٢ / ٣٩.

كما ساهم تقي الدين أيضا في تدمير الحملة الألمانية بقيادة فردريك بربرسيا التي كانت تواصل تقدمها عن طريق الشام في شتاء سنة (٥٨٦/ ١١٩٠م) لتعزيز قوات الإفرنج في مدينة عكا إلا ان هذه الحملة لم تستطع تحقيق أهدافها بسبب ما تعرضت له من غارات وقلة في الأقوات وانتشار الأمراض والتي أدت إلى تمزيق جيوشهم(٣٢)، وبالرغم من هذه المهام القتالية التي كانت توكل إلى تقي الدين فقد كان صلاح الدين يضيف إليه مهام أخرى هي الحفاظ على المدن التي تقع على مقربة من ساحات المعارك لصد غارات الإفرنج عنها كما فعل في مدينتي اللاذقية وجبلة(٣٣)، ويبدو ان الكفاءة العسكرية التي أظهرها تقي الدين في تلك المعارك أكسبته ثقة صلاح الدين إذ كلفه بواجبات إدارية وقتالية تمثلت بجعل مدينة حماة تحت سلطته وجعلها مركزاً إداريا لمجموعة من مدن الجزيرة وبلاد الشام وهي المعرة وسلمية وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس وميافارقين وحران والرها وسميساط والموزر وبعرين(٣٤).

ولعل إدارة هذه المدن والدفاع عنها كان غاية في الصعوبة كونها مدن متباعدة فيما بينها ورغم ذلك لم يظهر ما يثير الشك في إدارته إلى تلك المدن أو تعرضها لعدوان إفرنجي ويمكن استنتاج ذلك من خلال المدة المحصورة بين سنة

(٣٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٢٢٤.

(٣٣) ابن شداد: السيرة، ١٤٧.

(٣٤) ابن واصل: مفرج الكروب ٢٠/ ١٨٢- ٣٧٨، الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح المقدسي: تقديم محمد محمد صبح القاهرة ١٩٦٥، ٢٦٤.

(٥٧٤ ـ ٥٨٧هـ / ١١٧٨ ـ ١١٩٨م) وهي الفترة التي تولى فيها تقي الدين السلطة في مدينة حماة إذ لم يغزوها الإفرنج طيلة هذه المدة بينما غزوها ثلاث مرات في المدة التي سبقت تسلمه السلطة وأربع غزوات بعد وفاته[٣٥].

ان تجنب الإفرنج لمدينة حماة يعني انهم خبروا شخصية تقي الدين وكفاءته العسكرية فحاولوا عدم الوقوع معه في معركة خاسرة وبذلك يعتبر إجراء صلاح الدين سليما يجعل هذه المدن تحت نفوذ تقي الدين إذ أصبحت ذات طابع وحدوي تمثلت في سلطة واحدة كجزء من دولة صلاح الدين بعد ان كانت قبيل ذلك مدن يعمها التفكك الداخلي، وهذا قد شجع صلاح الدين ان يجعل مصر تحت سلطة تقي الدين إضافة إلى سلطته في مدينة حماة كي يتحاشى وقوع هجوم إفرنجي مرتقب على مصر بعد فراغ الساحة المصرية من قيادته لانشغاله في العمليات الحربية في الشام والجزيرة[٣٦].

---

(٣٥) انظر محاولات الصليبيين: احتلال حماة.

ابن القلانسي: أبو يعلي حمزة (ت ٥٥٥/ ١١٦٠م).

ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨ ص ٩٩ ابن أعمدة: الكامل ٨/ ٤٣٢، ١١/٤٤٤،

١٢/ ١٩٥، سبط ابن الجوزي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،

حيدر أياد الدكي ٤٣٢/٨ ابن واصل مفرج الكروب ٣/ ١٤١-١٤٢، ٤/ ٣٠٣.

الحموي: ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت ١٩٧٦، ٢/ ٣٠٠.

(٣٦) الإفرنج: محمد بن تقي الدين (٦١٧/ ١٢٢٠م).

مضمار الحقائق وسر الخلائق تحقيق حسن حبشي القاهرة ١٩٦٨، ١٥٧-٥٢٤. ابن أعمدة:

الكامل ١٢/ ٩- ٦١، ابن واصل ـ مفرج الكروب ٢/ ٣١١، الإفرنج، مضمار الحقائق ٢٥.

لكن تقي الدين واجه مشاكل عديدة في مصر من بينها الخلافات التي وقعت بينه وبين الملك الأفضل ابن صلاح الدين حتى ان كثرة هذه المشاكل أثارت غضب صلاح الدين بعد ان قرر عزله عن السلطة في مصر إلا ان تقي الدين امتنع عن ذلك وحاول التوجه إلى بلاد المغرب العربي للالتحاق بمملوكه قراقرش الذي كان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وطرابلس وغيرها من مدن المغرب لكن جهود صلاح الدين وولائه له جعلته يعود إلى حماة(٣٧).

لم يقتصر دور تقي الدين في المعارك التي كان يخوضها فحسب كان يقوم بتحصين المناطق التي تقع تحت نفوذه كما فعل بقلعة حماة(٣٨) التي قال عنها ياقوت الحموي قلعة عظيمة عجيبة في حصانتها(٣٩) كما قام أيضا بإعادة بناء مدينة اللاذقية، وكانت لتقي الدين جهود أخرى منصبة باتجاه تحقيق وحدة الجيوش وإدامة معنوياتها في المعارك التي كانت تخوضها والتي كانت تعترض سير عمليات القتال(٤٠).

اما جهود تقي الدين العلمية فقد (كان كثير الإحسان إلى العلماء)(٤١)

---

(٣٧) ابن أعمدة: الكامل، ١١/ ٥٢٣.

(٣٨) الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح المقدسي: تقديم محمد محمد صبح القاهرة ١٩٦٥، ٢٦٤.

(٣٩) الحموي: ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت ١٩٧٦، ٢/ ٣٠٠.

(٤٠) ابن أعمدة: الكامل ١٢/ ٩-٦١، ابن واصل ـ مفرج الكروب ٢/ ٣١١، الإفرنج، مضمار الحقائق ٢٥،

(٤١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/ ٤٥٦.

ووصف، السبكي بأنه (رجلا أديبا فاضلا)[٤٢] ويظهر انه كان ميالا إلى طلب العلم حتى قيل ان مدينة حماة ازدهرت علميا نتيجة لجهود تقي الدين[٤٣]، فضلا إلى انه كان عالما بأصول الحديث والفقه والشعر سمع الحديث من الحافظ السلفي وابي طاهر بن عوف أثناء إقامته في الإسكندرية روى عنه مملوكة شجاع الدين جلدك المظفري[٤٤] وفي مجال الشعر فقد كان (شاعرا فاضلا)[٤٥] ترك ديوانا من الشعر أشار إليه ابن تغري بردى ونقل منه[٤٦]، وتتضح إمكانياته الشعرية من خلال القصائد التي أوردها ابن واصل الحموي[٤٧] ومطلع القصيدة التي أشرنا إليها في معركة حطين، كذلك ساهم في دعم الحركة الثقافية في بلاد الشام ومصر والجزيرة من خلال بنائه المدارس وتخصيص الأوقاف الجايلة لها أمثال مدارس العز في مصر والمالكية والشافعية في الفيوم والمدرسة التي بناها في مدينة الرها والمدرسة النقوية في دمشق[٤٨].

---

(٤٢) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٣٦١م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو وآخر، ط، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٨، ٧/ ٢٤٢.

(٤٣) الإفرنج، داؤود بن عيسى، تحقيق ناظم رشيد، رسالة دكتوراه مقدمة الأيوبية كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨١، ص ٣٤.

(٤٤) المنذري، عبدالعظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، تحقيق بشار عواد معروف بيروت ١٩٨١، ٢٤٢/١، السبكي: طبقات الشافعية، ٧/ ٢٤٢.

(٤٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط، مصورة عن دار الكتب المصرية، ١١٤/٦.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٨.

(٤٨) ابن خلكان: وفيات العيان، ٣/ ٤٥٦، المنذري: التكملة ١/ ٤١٠.

وأخيرا ظلت طموحا تقي الدين قائمة في اتجاه تحقيق وحدة شاملة تضم مدن الجزيرة كجزء من دولة صلاح الدين، لذلك حاول فرض سيطرته على مدن السويداء وحاني وخلاط وتقويض سلطة حاكمها سيف الدين بكتمر إذ دخل معه معركة استطاع ان يسحق جيوشه إلا ان المنية عالجته على اثر مرض إصابة أثناء المعركة أدى إلى وفاته يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) مما اضطر ولده المنصور محمد ان يحمل جثمانه ليجعل من مدينة حماة مكانا لرفاته[٤٩] ولا يزال مرقده قائما في حماة[٥٠] إلى جانب ولده الملك المنصور، وهو محط أنظار الباحثين والسائحين والزوار في المدينة، وكان لوفاته وقع شديد في نفوس المسلمين وخاصة صلاح الدين الذي انهال في البكاء عليه حتى أبكى الحاضرين بعد ان عقد اجتماعا ضم كبار قادته العسكرين، وقد احسن ولده حينما شيد إلى جانب قبره مدرسة عرفت باسمه التقوية[٥١] ويظهر ان هذه المدرسة مجاورة للجامع الكبير في حماة[٥٢].

(٤٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٦-٤٥٨، ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٢٣٥.

(٥٠) ينظر الصورة رقم (١).

(٥١) السيرة: ص ١٩٧- ١٩٨، ابن واصل: مفرج الكروب ٢/ ٤٣٥.

(٥٢) ينظر الصورة رقم (٢).

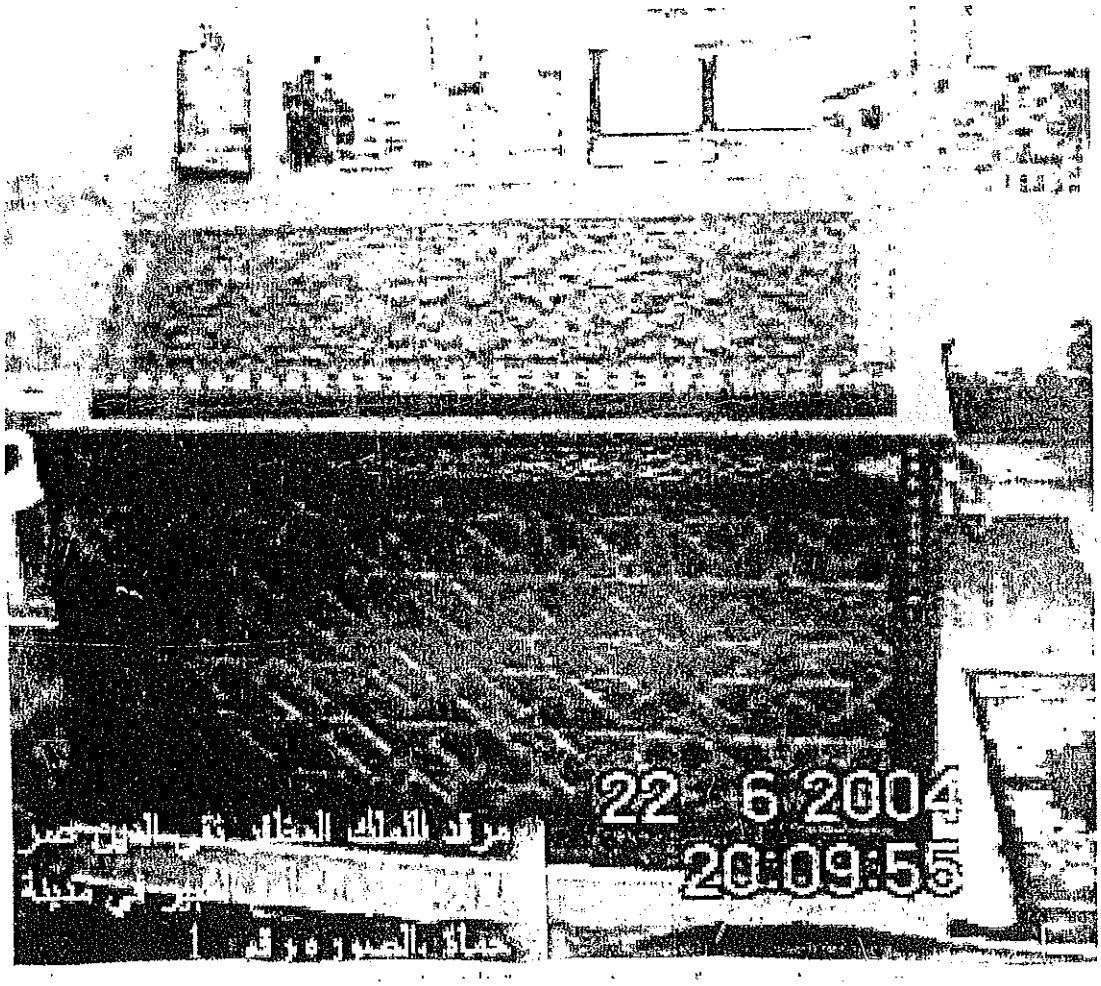

الصورة رقم (١) بعدسة الباحث مرقد الملك المظفر تقي الدين الأيوبي في الجامع الكبير في حماة

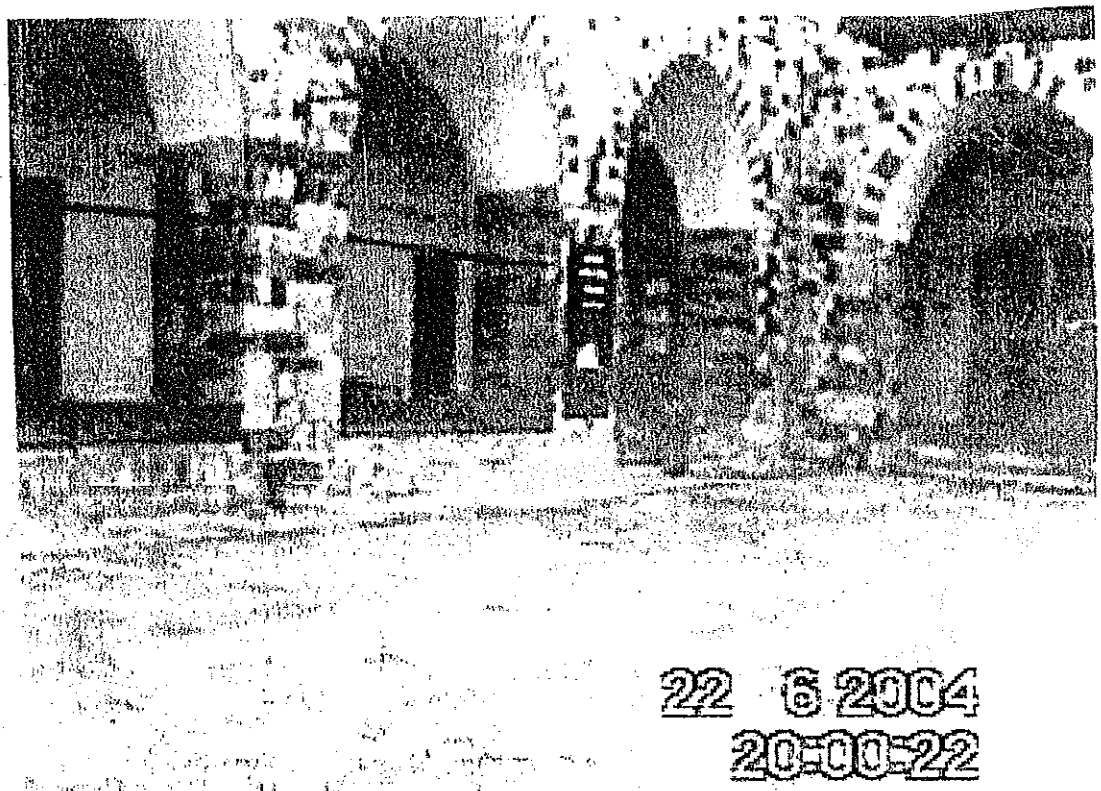

الصورة رقم (٢) بعدسة الباحث الجهة اليمنى من الجامع الكبير في حماة المجاورة لمرقدِ الملك المظفر تقي الدين ويعتقد انها جزء من المدرسة التقوية